

نستخلص من التعريفات الدين السابقة انها تكون واحدة من نمطين :

التعريفات الجوهرية (التي تركز على أساس وجوه الدين) أو التعريفات الوظيفية (التي تركز على ما يفعله الدين)

التعريفات الجوهرية تركز على اعتقاد المحدد مثل :

جوهر الدين هو : الاعتقاد في الكائنات فوق الطبيعية وتركز على التفرقة بين المقدس والعلماني فهي تصب على الاشكال التقليدية للتدين .

أما التعريفات الوظيفية , فتعرف الدين على انه الشيء الذي يمدنا بالشعور بالمعنى المطلق , نسق من الرموز الكبرى , مجموعة من القيم الاساسية للحياة .

ويشير البعض الى ان هناك ثلاث معاني يستخدم لفظ الدين للدلالة عليها وهي :

المعنى الاول : يشير الى النصوص المكتوبة والمقدسة لدى الاديان .

المعنى الثاني : ويراد منه الاراء والنظريات والعقائد التي ترجع الى أكثر من حقل معرفي , ولا تنتمي جميعها لحقل معرفي واحد , فبعضها فقه , وبعضها أخلاق , وبعضها إلهيات بالمعنى الاخص (اي علم الكلام) , وبعضها عرفان , وبعضها فلسفة , حتى أن بعضها يشمل الاراء والنظريات الوضعية , كالتأريخ والجغرافيا .

وظائف الدين .

الدين ينظر اليه كظاهرة اجتماعية , وجد أساساً لخدمة الانسان , طالما ان الانسان موجود قبل أي دين , بل هو الذي أوجد الدين , الدين على هذا الاساس ظاهرة اجتماعية , فهو إذن احد عناصر المشكلة للبنية الثقافية المنتمية الى مجتمع ما , ان الاعتقاد الديني والمؤسسات الدينية تخدم من الحاجات الفردية والمجتمعية الكثير , ونحن لا نستطيع أن نقدم قائمة عامة بوظائف الدين , لان هذه الوظائف تختلف تبعاً للبناء الاجتماعي , وثقافة المجتمع , وخصائص الدين نفسه وبصفة عامة يمكن أن نحدد ثلاث أشكال من الوظائف التي يقدمها الدين وهي :

أولاً : وظيفة المعنى أو الفردية :

يعد الدين الافراد بنظرة معينة للعالم والكون التي بواسطتها ينظر الى عدم العدالة والمعاناة والموت على انها معانٍ مطلقة , وقد عبر غيرترز بقوله (عندما يكون للموت أو المعاناة معنى , فإنها تصبح شيئاً يمكن معاناته , وعبر نيتشه بالمعنى نفسه في قوله الذي عنده معنى (لماذا) يعيش فإنه يتحمل غالباً (كيف)) , ولكي تواجه وظيفة المعنى يجب ان يشمل الدين على الاشياء أكثر من مجموعة أفكار .

ثانياً : الوظيفة الذاتية أو الانتمائية :

من أهم الوظائف التي يقدمها الدين لمعتنقيه هي وظيفة الاحساس بالذاتية , وقد أشار (أندرو جريللي) الى شدة التعصب الطائفي في الولايات المتحدة يرجع الى الدين وخاصة الى الوظيفة الذاتية وما لعبته في حياة المهاجرين الى الولايات المتحدة , فالطائفية الدينية أصبحت مصدراً للذاتية وعاملاً للاستقرار الثقافي لمن هم يواجهون نقلة ثقافية .

ثالثاً : الوظيفة البنائية :

ويقوم الدين بهذه الوظيفة التي تتضمن توحيد الافراد ومعرفتهم لذواتهم بصورة واضحة في المجتمعات المتجانسة , أما المجتمعات المعقدة فالدين لا يستطيع ان يقوم بهذه الوظيفة لأن تعدد المذاهب الدينية في هذه المجتمعات , وعدم وجود دين واحد غالب يعوق قيام الدين بهذه الوظيفة , كما أنه يؤدي الى ظهور أشكال بديلة للدين التقليدي .

نلخص من ذلك كله الى ان الدين موجود في كل حضارة على الرغم من اختلافه من واحدة الى أخرى عقيدة وتطبيقاً لأنه يُعين الذين يعتقدونه على تفسير الاحداث المعقدة والغامضة التي يواجهونها ويخلق تماسكاً اجتماعياً قوياً بينهم ويُمكنهم من ان يميزوا بين الصح والخطأ من وجهة نظرهم في أعمالهم .

وهناك وظائف اخرى يؤديها الدين للأفراد والجماعات وهي :

١- للدين دور كبير في تنظيم الحياة الانفعالية والعاطفية التي يعيشها الانسان لا سيما وقت تعرضه للتحديات والازمات والنكبات و الاخطار كالحروب والفيضانات والزلازل والبراكين والمجاعات وموت المقربين اليه لسبب أو لآخر .

٢- يساعد الدين على تحقيق الوحدة الفكرية والعقلية والعقائدية والكفاحية بين الافراد الذين يؤمنون به .

٣- من الوظائف الاجتماعية الاخرى للدين انه ينظم الحياة الاجتماعية في المجتمعات المحلية.

٤- يُعد الدين وسيلة مهمة من وسائل الضبط الاجتماعي ذلك ان الدين يُرشد الافراد الى السير في الطريق السوي وبقية من الشذوذ والانحراف والجريمة .

٥- يهذب الدين شخصية الفرد ويجعلها قادرة على أداء دورها في المجتمع .

٦- يحل الدين بعض المشكلات أو الصعوبات التي يعاني منها الافراد في اللقاءات الطقوسية والعبادية التي يؤديها الافراد بشكل جماعي .

٧- يزود الدين المجتمع بالقيم الفاضلة التي تساعد على النمو والبناء والتطور .

نظريات حول نشأة الأديان

من المعروف لدينا في إن علم نشأة الدين أو ما يعرف بعلم الاجتماع الديني هو علم حديث نسبياً فهو لم يبدأ الا في القرن التاسع عشر , وكان أوائل العلماء الذين بحثوا في نشأة الدين السير جيمس فريزر و إدوارد تايلر و إميل دوركهايم و مالينوفسكي و بروان و ماركس و فيبر وغيرهم من علماء الاجتماع والانتروبولوجيا ان تأخر دراسة الظاهرة الدينية يرجع الى ارتباط الدين بالجانب العقائدي من حياة الناس مما يجعله محاطاً بسياج من الرهبة والقدسية التي تدعو الى الحذر والتردد في معالجة قضاياها ومواضيعه الحساسة . فعلم الدين هو العلم الذي يهدف للدراسة الموضوعية للدين , ويرى اسكوبس انه ينقسم لفرعين هما :

أولاً - التاريخ العام للأديان حيث يتناول نمو وتطور اديان تاريخية معينة ويدرس مراحل هذا التطور ويحاول ان يفسر كيف ان هذه المراحل ما هي الا انبثاقات من مسلمات كل عقيدة وتحتوي كذلك على التطور النفسي لمجتمعات دينية خاصه وتناقش كذلك المسائل المتعلقة بالعقيدة والشعائر والمؤسسين والدراسة في ذلك تركز على حقائق كما هي في هذه الأديان .

ثانياً - الدين المقارن حيث يركز حول تحليل انواع مختلفة من التجربة الدينية , وهذا ما يتم من خلال مقارنة الأديان لمعرفة التطورات النمطية والسمات المميزة والقوانين المتبعة فيها لذلك يقرر الباحث الاساسيات المحددة لمختلف الجوانب في الدين فإنه مُطالب بتحديد السمات الرئيسية في الأديان التاريخية , وعليه فإن اشكالية الاجتماع الديني وعلم النفس الديني وفلسفة الدين وغيرها من أمثال هذه الفروع كلها من العلوم المساعدة لعلم الدين لان كل منها يبحث في منطقة صغيرة في كينونة الدين ولا يمكن النظر للدين عبرها فقط .

وقد طرح بعض المفكرين التطوريين الكثير من النظريات عن نشأة الاديان البدائية دون تمحيصها على ضوء الواقع الاجتماعي لهذه الجماعات. ومن أهم هذه النظريات ما يأتي :

١ - النظرية الارواحية :

وهي النظرية التي قدمها تايلر وتفترض ان أصل الاديان ينبع من تجربة الاحلام والتخيلات التي أرشدت الانسان البدائي الى اكتشاف مفهوم الروح الذي اتسع نتيجة استطراد فكر هذا الانسان متجاوزاً أرواح الكائنات الحية الانسانية والحيوانية والنباتية الى الاشياء غير المادية والقوى الغيبية غير المرئية والمجردة .

٢ - النظرية الحياتية :

وترجع الى الاستاذ ماريت الذي يعتقد بأن هناك مرحلة سبقت ظهور مفهوم الروح وهي مرحلة مفهوم الحياة , فالإنسان الاقدم باعتقاده ظل لا يفهم القوى المجهولة والخفية التي تزخر بها الطبيعة , وصار يتخيل هذه القوى غير الشخصية , فعزى لها طاقة أو قوة حيوية مؤثرة هي صنف من المانا اي قوة طبيعية دينامية مجردة كالتالي يعتقد بها سكان جزر اوقيانوس في المحيط الهادي .

٣ - نظرية عبادة الاشباح :

وهي فكرة الاستاذ هربرت سبنسر عن أصل الاديان , وهو يرى ان هذا النوع هو الاقدم , وقد انبثق كما اعتقد من الاهمية التي كانت تضيفها الجماعات القديمة على أسماء ملوكها وأبطالها وأجدادها . ويرى سبنسر ان عبادة الاسلاف أقدم من عبادة الاشياء الطبيعية ان الانسان البدائي كان يرى في أحلامه صورة أبيه الذي مات , وهو كذلك يستطيع ان يتصوره في اليقظة , وان روح أبيه يمكن ان تنفعه اذا رضيت عنه , أو ان تسخط عليه اذا لم ترض , ولذلك فقد حاول الانسان البدائي جاهداً ان يسترضي هذه الارواح , أي أرواح الاسلاف , ومن هنا نشأت القرابين .

٤ - نظرية السحر :

وقد صاغها الاستاذ جيمس فريزر الانكليزي , وهي تُرجع ظهور الاديان البدائية الاولى الى فشل السحر في تحقيق ما كان يصبوا اليه الانسان من سيطرة على ظواهر الطبيعة مما دفعه الى الاعتقاد في وجود قوى فوق طبيعية خارقة لا تخضع لإمكانات السحر , مما اضطره الى ان يُذعن لها ويتقيها .

فنشأة الدين من وجهة نظر فريزر بأن الانسان لجأ الى الدين لا خوفاً من الطبيعة بل رغبة منه في أن يسيطر عليها , وان السحر سبق الدين في ظهوره , وان الدين سبق العلم .

٥- نظرية عجز اللغة :

ان واضع هذه النظرية هو الاستاذ ماكس مولر , وهي تشير ان أصل الفكر الديني يعود الى علة اساسية في اللغة تتطوي على اضافة صفات العقل والقصد والارادة على الظواهر الطبيعية كالعواصف والبراكين والزلازل مما دفع الانسان تدريجياً الى الاعتقاد بأن هذه الظواهر وأمثالها تتسم بالعقل .

فهي تمثل عبادة بسيطة للظواهر الخارقة للطبيعة يُعتقد انها تتمتع بقدرات كونية , والتي تظهر أحياناً مجسدة , كذلك يمكن اعتبارها موقفاً كونياً لفهم العالم , بإعتباره مجموعة من الرسائل التي تحتاج الى تفسير .

٦- نظرية الضعف الانساني :

ويرى واضع هذه النظرية الاستاذ بروس بأن الانسان الاقدم ظل فترة طويلة يعاني من عجزه عن كبح جماع الطبيعة , وقد دفعه تخلفه التكنولوجي الى الاعتقاد بسطوة الطبيعة , وحثمية خضوعه لها والحاجة الى جعل صلاته بها مبنية على العبادة والخشية .

٧- نظرية عبادة الاجرام السماوية :

تقتض هذه النظرية ان أقدم الاديان انطوت على عبادة الاجرام السماوية خصوصاً الشمس أو القمر نتيجة التصور البشري بوجود سمات عقلية في هذه الظواهر , ويطلق على هذا النمط من الاديان (بالوثنية النفسية)

٨- نظرية الغريزة الدينية :

ان نشأة الاديان كما تقترح هذه النظرية كانت حصيلة غريزية دينية فطرية دفعت الانسان الى الحس بالحاجة للأديان لمواجهة مخاوفه من القوى الغامضة التي تغلف وجوده في الطبيعة .

٩- نظرية الطوطم :

وهي للعالم الفرنسي دوركهايم وتُرجع اصل الاديان البدائية الى حاجة الانسان للتضامن الاجتماعي , وقد توصل الانسان حسب رأي هذا العالم الى فكرة الطوطم بوصفه اقدم الرموز الدينية التي جاءت لتجسيد مفهوم الوحدة الاجتماعية لدى الجماعات .

وعلى حد تعبير دوركهايم في كتابه (الصور الاولية للحياة الدينية) , فإن الدين مسألة اجتماعية وليس مسألة فردية , وإن الحيوانات الطوطمية كانت تُقدس في أستراليا على اعتبار أنها ترمز الى وحدة الجماعة أو العشيرة , وتقديسهم للطوطم كانوا يقدسون العشيرة ذاتها أي المجتمع نفسه , وفي احترامهم للطوطم كانوا يعبرون في الواقع عن علاقة أفراد المجتمع بالمجتمع ذاته , على ان المجتمع هو مصدر التقاليد الخلقية مثلما هو مصدر لوجودهم نفسه , كما ان الهة القبيلة تمثل لنا نظام المجتمع القبلي ذاته .

١٠ - نظرية الاله الاعلى :

وقد اقترحها المفكر الالماني وليم شمت , وفحواها ان الديانات الاولى كانت تعتمد على نظام عبادة الاله الواحد , غير انها تدهورت وتشوهت في ظنه مع مرور الزمن وصارت تركز على مبدأ تعدد الالهة .

١١ - نظرية تمجيد الملوك :

ويعتقد أصحابها الانتشاريون الانجليز بأن الدين جاء نتيجة للإعتزاز بذكرى الملوك بعد موتهم , وقد استحال الاعتزاز الى الرغبة بالتخليد ثم تطورت الفكرة وتحولت الى تخليد هذه الذكرى , وعندها أصبح الملك موضع احترام مقدس .

١٢ - نظرية التجربة الطفولية :

صاحب هذه النظرية هو الاستاذ سيغموند فرويد الذي يعتقد ان الدين قد تمخض عن تجربة الطفولة الاولى التي تعرضت لها البشرية الاولى في القدم , وتدور هذه التجربة حول تأمر الصبية في أول زمرة انسانية على زعيم الزمرة - ابيهم - وقتله

وكان لهذا الجرم أثر عميق في نفوسهم ادي قيما بعد الى شعورهم بالندم وتأنيب الضمير , ونتج عن هذا ان تعاضمت شخصية الاب القتل في ضمائر الابناء , مما حدى بهم الى تخليد ذكراه عن طريق عبادته , وقد مثلوا له بالطوطم الذي أصبح رمزاً يشير الى مكانته في أذهانهم وتدور حوله طقوسهم الروحية .

واستنتج فرويد في كتابه (طوطم و تابو) ان قتل الاب حرمة تناول الطوطم , وربط حرمة جماع الام بقاعدة طوطمية , خاصة بالزواج من خارج العشيرة , لكن ما الدليل على هذا القتل المزعوم أصلاً للأب ؟ , بالاضافة الى ان الزواج من الاقارب لا يتعلق فقط بالعلاقة الجنسية مع الام , ومن محض الخيال , بين تناول الاغذية وإقامة علاقة جنسية , خاصة ان الطوطميات لا تحرم دائماً الاغذية , ورغم ذلك , فمن الصحيح ان الفكر

الطوطمي يتضمن مواقف طقوسية تتعلق بالاحترام والتقوى , وأيضاً بطاعة التعليمات والمحرمات مثل كل الاديان , ولا يدل ذلك على قدم الطوطمية مقارنة بالاديان المنظمة أو أديان الخلاص (المسيحية) .

١٣ - نظرية القربان :

وتقدم بها روبرتسن سمث وهي تنص على ان الدين الاول قد نتج عن مفهوم القربانين , فقد ابتكر الانسان هذا المفهوم ليكون همزة الوصل بينه وبين القوى الفوق طبيعية , وبينه وبين افراد جماعته التي تأكل من لحم القربان .

الاتجاه الوضعي العقلاني

يُعد هذا الاتجاه نموذجاً ناجحاً في دراسة الدين , ذلك لأنه تجنب نواحي القصور التي وجدت في الاتجاه الوضعي , حيث انه جمع مزايا الاتجاه العقلاني , فقد وضع نموذج الفكر الوضعي تحديداً قوية على نوعية ومغزى الظاهرة الدينية , ففي اطار هذا الاتجاه يوجد نموذجان للتفسير النظري للظاهرة الدينية :

الاول - يُعالج الظاهرة الدينية على أنها إظهار للعوامل البيولوجية والسايكولوجية للوصول الى الضبط العقلي أو تفسيرات في ضوء مفاهيم , وعادة يقوم هذا النمط الى رؤية لنظرية غريزية تلبث ان تعاني من قصور علمي شديد , فهي لا يمكن ان تبرهن عن امكان ربط تفاصيل التغيرات التي تُظهر سلوكيات الظاهرة بما يطابقها من تغيرات في بناء الدوافع الغريزية .

الثاني - حيث تختلف العقلانية عن الوضعية في انها تتجه الى معالجة الفاعل على انه باحث عاقل يفعل في رُشد وفي ضوء المعرفة المتاحة له , فقد سلك سبنسر وتايلور هذا المسلك في معالجتهمما للسحر البدائي والافكار الدينية , وذهبا الى أن السحر البدائي والافكار الدينية هي أفكار في مستوى الانسان البدائي , مع الاخذ بالاعتبار القصور في تراكم المعرفة , التكنيك المحدود , وقلة فرص الملاحظة التي يعايشها الانسان البدائي , فالاعتقادات المتمثلة في انفصال الروح من الجسد والممارسات الطقوسية تشير الى نمط من التفكير , لذلك فالمعتقدات الدينية السحرية والممارسات الجماعية يمكن ان تتغير مع التقدم العلمي , وقد برهن هذا النموذج على ان يكون نقطة البداية في تطور هذا الاتجاه , لأنه جعل من الممكن تحليل الفعل في ضوء مفاهيم وجهة النظر الذاتية للفاعل في توجيهه لملاحم معينة في الموقف الذي يتحرك أو يفعل فيه , أن

الاتجاه الوضعي العقلاني جمع بين النموذجين السابقين , حيث يظهر هذا الاتجاه جلياً في اسهامات كلٍ من دوركهايم وماكس فيبر .

مكونات الدين :

يعتمد قيام الاديان على أساسين مهمين الاول نظري ويتكون من الافكار والمعتقدات الدينية , أما الثاني فعلي ويتكون من الطقوس المختلفة التي يقومون بها ويفعلونها في المناسبات الدينية ولهاذين الاساسين خصائص اجتماعية من أهمها :

أولاً - انها خارجية وقائمة في المجتمع قبل ظهور الافراد فهم يخرجون الى الحياة ويجدونها سابقة لظهورهم ويأخذون بها .

ثانياً / أنها تلقائية ومن صنع المجتمع نفسه وليس من صنع الافراد ويتولد جهودها من ضرورة معيشة الناس مع بعضهم , فصدرها اذن الثقافة المجتمعية وليست نفسية أو حيوية أو جغرافية , فلدين بمكونيه النظري والعملي لا يمكن ان يعزى الى روعة مظاهر الطبيعة , كالشمس والقمر والنجوم والرعد التي بهرت الانسان واضطرته الى عبادتها وتقديسها , كما ذهب بعض المفكرين , ومما يؤيد ذلك ان الرجل المتأخر يعتقد انه عن طريق السحر كظاهرة اجتماعية يمكن ان يتحكم في المظاهر الطبيعية وسيطر على حركاتها .

ثالثاً - ان مكونات الدين النظرية والعملية للدين ملزمتين لما لهما من جبرية وضغط اجتماعي تحتم ان يتبعها كل فرد في المجتمع , والا وقع عليه الجزاء , فالجزاء احياناً يكون مادياً وهو في الاغلب جسدياً , واحياناً يكون معنوياً كالازدراء الجمعي و الاشمزاز , الا ان للعقاب المادي السيطرة لأنه لا ينصب عند المتأخرين على المجرم , وانما ينصب على الجريمة , فالجرم اعتداء صريح على هيبة الجماعة والعقاب وسيلة لرد شرف الجماعة , ومن هنا تبدو الصرامة والشدة في الجزاء حتى انهم لا يعاقبون المجرم نفسه احياناً , وانما اي فرد من أفراد البطون والعشائر للتكفير عن الجريمة نفسها .